**الفصل الثاني**

# العدل الإلهي

الاعتقاد بالعدل الإلهي هو من اصول مذهب الشيعة الإمامية، الذين يعتقدون بأنّ الله سبحانه و تعالى عادل في الخلق و الأمر. و الأوّل يسمى بالعدل في التكوين ، و الثاني بالعدل في التشريع.

و البرهان العقلي الذي يدلّ على ذلک هو كالتالي :

لاشكّ في أنّ العدالة كمال لصاحبه و في المقابل ، يكون الظلم نقصا فاحشا و عيبا بارزا له. و الله سبحانه و تعالى هو الكمال المطلق و خالق كلّ الكمالات في الوجود. و على هذا الأساس ، لا مجال لأىّ نقص و عيب في ساحة القدس الإلهي. فيستحيل أن يتّصف "واجب الوجود" المستجمع لجميع الصفات الكمالية بالظلم.

و ذلک لأنّنا إذا نفرض أنّ البارئ تبارک و تعالى ليس عادلا فيكون ظالما . و بناأ على هذا الفرض المحال نقول : اتّصافه بالظلم إمّا هو لاحتياجه إلى الظلم ، أو لجهله بقبح الظلم ، أو لأنّه مكرَه على فعل الظلم و عاجز عن تركه ، أو لأنّه يفعل الظلم عبثا و من دون دليل و حكمة.

و لكننا نعلم بأنّ كلّ هذه الفرضيّات مستحيلة في حقّ مبدع العالم و خالق الكمالات كلّها ، الذي هو العالم القادر الغني الحكيم. فيثبت بذلک أنّ الله تبارک و تعالى هو العادل على الإطلاق.

و لأجل هذا نجد في القرآن آيات واضحة ، و هي تدلّ على أنّ الله عادل في التكوين و الخلق ، و في التشريع و الأمر ، و لايظلم أحدا. و هذه الآيات كثيرة نذكر نبذة منها :

"تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ".

(سورة آل عمران ، الآية رقم 108)

"وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ" . (سورة الغافر ، الآية رقم 31)

"وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ". (الأنبياء ، 16)

"وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّار". (ص ، 27)

"إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ". (القمر ، 49).

*****

**الفصل الثالث**

# النبوّة

مباحث هذا الفصل تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول يشتمل على معالم النبوّة بشكل عامّ و إثبات الحاجة إلى الرسالة السماوية و بيان ميزات الأنبياء و صفاتهم الخاصة.

أما القسم الثاني ينطوي على مباحث تتعلّق برسالة نبيّنا محمّد ابن عبد الله صلّى الله عليه و آله بشكل خاص ، كإثبات نبوّته و بيان معجزته الخالدة و هي القرآن.

و القسم الأول يسمى بمباحث النبوّة العامّة ، و الثاني بمباحث النبوّة الخاصة.

**الحاجة الى الرسالة السماوية**

إنّ الإنسان يتميّز عن غيره بميزة المعرفة و إدراك الحقائق ؛ لكنّه رغم تطوّره في العلم و معرفة العالم ، يعاني من الجهل بالقضايا الأساسية و المسائل المصيرية ، و لا يعرف أسرار نفسه و رموز الحياة و لغز الخلق.

قد عرف الإنسان كثيرا من معالم جسمه و نفسه ، لكنّه مع فرض انفصاله عن مدرسة الوحي الإلهي ، لا يعرف أنّه من أين جاء و إلى أين يذهب و لماذا أتى إلى هذا العالم .

و قد استطاع العلم البشري أن يكشف لنا جريان خلق الكَون من زمان الانفجار العظيم (Big Bang) ، الذي أدّى إلى خلق العالم الجسماني ؛ لكنّه لايدرک ماذا كان هناک قبل ذلک، و ماذا سيكون بعد نهاية العالم و انهيار هذا الصرح الجسماني.

و على هذا الأساس ، يكون الإنسان ناقصا في العلم و المعرفة و يحتاج إلى مصدر من العلم الغير المتناهي ، ليجد

الجواب عن أسئلته الأساسية حول المبدء و المعاد و طريق السعادة الحقيقية. و هذا المصدر اللامتناهي هو الشريعة الإلهية ، التي توصّل الإنسان إلى ماء الحياة الطيّبة و السعادة الخالدة.

**ميزات الأنبياء**

حيث أنّ الأنبياء هم حَمَلَة الأمانة الألهية و حلقة الوصل بين سماء اللاهوت و أرض الناسوت ، فيجب أن يكونوا متّصفين بصفات خاصّة و متميّزين عن غيرهم بميزات أساسية ، و ذلک لأهمّية رسالتهم و ثقل مسئوليتهم تجاه الخالق و الخلق.

و قد ذكر علماء الكلام تلک الخصوصيات في كتبهم المفصّلة ، و أبرزها هي التالية :

- العصمة.
- المعجزة.

أما العصمة فهي بمعنى التجنّب عن المعصية. و الدليل على وجوب عصمة الأنبياء هو أنّ النبيّ مأمور بهداية الناس من الضلال إلى الهدى و من المعصية إلى طاعة الله ؛ و هو في هذا المقام قدوة لأتباعه و أسوة لمن تمسّک بشريعته . فلو ارتكب الذنوب و توغّل في المعاصي ، لاتبقى لمن تبعه ثقة بكلامه و عمله ، و ينحطّ قدره من موقع الزعامة الروحية و قمّة الكمال المعنوي إلى حضيض السقوط في ارتكاب المناهي. و هذا يخالف الهدف الأسمى من بعث الرسل لهداية الناس.

و البرهان العقلي الآخر الذي يدلّ على وجوب عصمة الأنبياء هو أنّه لو جاز لهم ارتكاب الخطأ و العصيان ، فكلّ شئ يقع منهم من قول أو فعل ، يحتمل أن يكون خطأ و باطلا ؛ فلا يجب اتّباعهم في ذلک. و هذا الأمر أيضا ينافي فلسفة النبوّة و حكمة البعثة.

أما المعجزة ، فهي ما يعجز البشر عن مجاراته و الإتيان بمثله، و هي حجة الأنبياء و دليلهم على صحّة رسالتهم و صدق كلامهم.

فإذا نصب الله سبحانه و تعالى رسولا للناس ، فلابدّ من أن يعرّفهم بشخصه و يبيّن لهم صحّة رسالته على وجه التعيين. و لايتمّ ذلک إلا بإعطاء المعجزة الإلهية ، التي لا تصدر إلا من

خالق الكَون و لايمكن لأحد من البشر أن يأتي بمثلها ، إلا النبي بإذن الله.

**نبوّة الرسول الأعظم**

الدليل على رسالة خاتم الأنبياء محمد ابن عبد الله (ص) هو صدور المعجزات عنه ، و على رأسها معجزته الخالدة و هي القرآن الحكيم. و حيث أنّ رسالته لاتحدّ بزمان دون زمان ، يجب أن تكون معجزته أيضا أبديّة.

و لأجل هذا ، نحن نركّز على تبيين هذه الحقيقة و إثبات أنّ القرآن معجزة خالدة.

استدلّ علماء الإسلام على أنّ القرآن معجزة الهية بأدلّة كثيرة و براهين رصينة و نحن نذكر نموذجا منها :

الدليل البارز على ذلك هو أنّ القرآن قد تحدّا المعارضين من الكفّار بإتيان كتاب من مثله في البلاغة و الفصاحة و الإتقان العلمي ، و قال :

"قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنْسُ وَالجِنُّ عَلَى أنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هذا القُرءانَ لاَ يَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً" (الاسراء ، 88).

ثمّ تحدّاهم بأن يأتوا بعشر سور مثل القرآن و قال :

"أمْ يَقُولُونَ افتريهُ قُلْ فَأتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إنْ كُنْتُمْ صدِقِيْنَ" (هود ، 13).

فلمّا لم يقدروا على ذلك ، تحدّاهم بأن يأتوا بسورة واحدة من مثله و قال :

"وَإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مِمَّا نزَّلْنَا على عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادعوا شهُدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إنْ كُنْتُم صَدِقِينَ". (البقرة، 23)

و لمّا نكصوا و ظهر عجزهم عن مجاراته طول التاريخ ، علمنا أنّ ذلک معجزة الهية لايقدر على الإتيان بمثلها البشر ، و هو كتاب الله النازل من ربّ العالمين لهداية الإنسان إلى السعادة الأبدية.

*****